

النزاعات الإثنية: دراسة في المفهوم، المقاربات المفسرة والأبعاد

Ethnic conflicts: A study of the concept, explanatory approaches, and dimension



الدكتور/ مسعود دخالت^{1,3,4}، طالبة الدكتوراه/ صفاء بن عيسى²

Dr./ Messaoud Dekhala, PhD(c)/ Safa Benaissa

¹جامعة قسنطينة 3، (الجزائر)

University of Constantine 3, (Algeria)

²جامعة باتنة 1، (الجزائر)

University of Batna 1, (Algeria)

³مخبر الدولة، والسياسات العامة، والاستراتيجيات الحكومية

Lab: State, public policies and government strategies

⁴المؤلف المراسل (author correspondent): messaoued.dekhala@univ-constantine3.dz

تاريخ النشر: 2022/09/28

تاريخ القبول للنشر: 2022/04/13

تاريخ الاستلام: 2022/02/09



مراجعة المقال: اللغة العربية: د. سعد مرحدف (جامعة الوادي) اللغة الإنجليزية: أ. سارة الناصر (العراق)

ملخص:

يعالج هذا المقال ظاهرة النزاعات الإثنية من حيث المفهوم والمقاربات وكذا الأبعاد، فقد أصبحت هذه الظاهرة من بين الظواهر البالغة الأهمية على صعيد قضايا السياسة الدولية خصوصا بعد نهاية الحرب الباردة، حيث تغيرت أنواع النزاعات من نزاعات دولية إلى نزاعات داخلية، وظهرت المجموعات الإثنية كفاعلات جديدة تطالب بحقوقها الاقتصادية، والسياسية، والثقافية، واللغوية والدينية، مما أدى إلى حدوث نزاعات إثنية عنيفة داخل الدولة الواحدة، أو بين مجموعة من الدول، وكل ذلك نتجت عنه انعكاسات، وتداعيات خطيرة على المجتمعات، وعلى كيانات الدول، وسيادتها.

وقد توصلت من خلال هذا المقال إلى مجموعة من النتائج أهمها أن النزاعات الإثنية هي تعبير عن اختلاف المصالح بين مجموعتين اثنتين، أو أكثر حول القضايا المهمة المرتبطة بمشاكل اقتصادية، أو سياسية، أو اجتماعية أو اقليمية، ولفهم طبيعة النزاعات الإثنية، و تفسيرها يمكن الاستعانة بمجموعة من المقاربات منها النسوية، والوسائلية، والبنائية، والاثنواقعية، والليبرالية، كما أنّ للنزاعات الإثنية تداعيات سلبية، وخطيرة على الدول، والمجتمعات، وفي جميع المجالات.

الكلمات المفتاحية: النزاعات؛ الإثنية؛ النزاعات الإثنية؛ الصّراع؛ الهوية.

Abstract:

This article addresses the phenomenon of ethnic conflicts in terms of concepts, approaches, and dimensions. This phenomenon has become one of the most important phenomena in terms of international policy issues, particularly after the end of the Cold War. The types of conflicts have changed from international to internal conflicts, and ethnic groups have emerged as new actors

demanding their economic, political, cultural, linguistic, and religious rights. This resulted in violent ethnic conflicts within a single State or between a group of States, which engendered serious implications for societies, States entities and their sovereignty.

This article highlights a series of findings, the most important of which is that ethnic conflicts are an expression of the difference of interests between two or more groups and of rivalry over issues related to economic, political, social or regional problems. To understand and explain the nature of ethnic conflicts, various approaches can be used, including Primordialist, Instrumentalist, Constructivist, Ethno-Realist and Liberal approaches. Ethnic conflicts also have a negative impact on states and societies in all areas.

Key words: conflicts; ethnic; ethnic conflicts; dispute; Identity.

مقدمة:

عرفت ظاهرة النزاعات الإثنية اهتماما واسعا من قبل الدارسين، والمحللين ومنتخذي القرار على حد سواء، وقد تعدى هذا الاهتمام إلى المستوى الدولي لما لهذه الظاهرة من أبعاد، وانعكاسات لا تمس الدولة الواحدة داخل حدودها الإقليمية، وإنما تمتد لتمس العديد من الدول والمجتمعات الأخرى، خصوصا فيما يعرف بعصر العولمة والتطور التكنولوجي واستخدام وسائل التواصل الاجتماعي التي أصبحت الأحداث فيها تنتشر بسرعة الضوء، وأصبح محاكاة النماذج الأخرى للمجتمعات بعضها البعض السمة الغالبة للمجتمعات الحديثة، وأين اختزلت الحدود بين المجتمعات هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالعالم يتميز بتعدد الاثنيات، ومع هذا التطور الهائل أصبح هذا التعدد يشكل العديد من بؤر التوتر خاصة في الدول غير الديمقراطية، وأصبحت مصدرا لتهديد المجتمعات والدول والنظام الدولي.

ومن ثم يمكن طرح الإشكالية التالية:

ما هو مفهوم النزاعات الإثنية؟ وما هي أهم المقاربات المفسرة لها؟ وإلى أي مدى تنعكس

النزاعات الإثنية على المجتمعات والدول؟

المبحث الأول:

مفهوم النزاعات الإثنية

لا يوجد هناك اتفاق لدى الباحثين والمهتمين حول مفهوم النزاع الإثني، ويرجع ذلك إلى عدم وجود تفسير عام لظاهرة النزاعات الإثنية، فاعلمت الدراسات والتحليلات هي في الحقيقة دراسات لحالات معينة وهذا ما لا يساعد على وضع بناء نظري وفكري موحد يمكن تعميم نتائجه في دراسة وتحليل الدراسات والحالات المشابهة.

المطلب الأول: تعريف النزاع وعلاقته بالمفاهيم المشابهة له

يعتبر النزاع حالة من التنافس الناتج عن الاختلاف في المصالح والأهداف سواء بين الأفراد أو الجماعات، أو الدول، ويرتبط بالنزاع مجموعة من المفاهيم الأخرى المشابهة له، والمتداخلة معه أحيانا أخرى.

الفرع الأول: تعريف النزاع

هناك مجموعة من التعاريف للنزاع فهو يختلف من مفكر لآخر، فنجد أنّ "ناصيف يوسف حتي" يعرف النزاع على أنه: "تصاعد بين اتجاهات مختلفة وعدم التوافق في المصالح بين طرفين، أو أكثر مما يدفع الأطراف المعنية إلى عدم القبول بالوضع القائم ومحاولة تغييره". (حتي، 1985، صفحة 293) أما معهد هايدلبرغ لأبحاث النزاعات الدولية فيعرفه على أنه: "ظاهرة إنسانية تنشأ عن تصادم المصالح، واختلاف المواقف على بعض القيم، وهي على الأقل بين طرفين قد يكونان جماعات منظمة، أو دول، وهي مصممة على السعي نحو تحقيق مصالحها، والحصول على أهدافها"، (Heinz-Jürgen & Schwarz, 2006, p 02) ومن خلال التعريفين السابقين يمكن أن نستنتج بأن النزاع يقوم على ثلاثة محاور أساسية هي:

- أن النزاع وتنازع بين طرفين، أو أكثر سواء كانت جماعات أو دولاً.
- أن النزاع ينتج عن وجود مصالح، ومواقف مختلفة تحرك الأطراف المتنازعة، فقد يكون سبب الاختلاف في الأهداف، أو التصورات أو المصالح، أو التطلعات.
- هدف النزاع في النهاية هو تغيير الوضع القائم.

الفرع الثاني: علاقة النزاع بالمفاهيم المشابهة الأخرى

يتداخل مفهوم النزاع مع مجموعة من المفاهيم الأخرى وهي:

- النزاع والتنافس: التنافس هو التسابق في تحقيق الأهداف مع عدم وجود تصادم بين الأطراف المتنافسة، وعادة ما يأخذ الطابع الاقتصادي كالتنافس الأمريكي الصيني في جنوب شرق آسيا وإفريقيا، والتنافس الإيراني السعودي في منطقة الخليج. (بالستغراف و جيمس، 1985، صفحة 140)
- النزاع والتوتر: يعتبر التوتر أول مرحلة من مراحل النزاع وهو حالة شيء يهدد القطيعة، (جراد، 1992، صفحة 95)، ويعرف التوتر على أنه حالة من القلق، وعدم الثقة المتبادلة بين دولتين، أو أكثر، وقد يكون التوتر سابقا، و سببا في النزاعات، والأزمات الدولية، أو نتيجة لهذه النزاعات، والتوتر لا يؤدي إلى اللجوء لاستعمال القوة، ولكن يحاول فيه كل طرف عدم وصول الطرف الآخر إلى تحقيق أهدافه ومصالحه، مثل التوتر الذي حصل بين الولايات المتحدة الأمريكية، والصين على خلفية تصادم مقاتلة صينية بطائرة تجسس أمريكية في الأجواء الصينية في 2001، والتوتر الحاصل بين إسرائيل، وحزب الله اللبناني على الحدود الجنوبية اللبنانية.

- النزاع والتهديد: يقصد بالتهديد أنه حالة من القلق بين الأطراف حيث تتميز بكثرة التصريحات الإعلامية الرسمية، والتي تهدد الأهداف العليا، والأمن القومي لدولة أخرى، مثل التهديدات المتبادلة

الأمريكية الكورية الشمالية على خلفية الملف النووي الكوري، وعادة ما تهدف لاستمالة الأطراف الخارجية لتأييد موقف معين. (فهبي، 2006، صفحة 223)

- النزاع والأزمة: يعرف "تشانزهيومان" الأزمة بأنها: "تهديد كبير ومفاجئ في وقت قصير"، كما تعرف بأنها: "تحول فجائي عن السلوك المعتاد، وتعني سلسلة من التفاعلات يترتب عليها نشوء موقف مفاجئ ينطوي على تهديد مباشر للقيم والمصالح الجوهرية، مما يستلزم معه ضرورة اتخاذ قرارات سريعة وفي وقت ضيق، وفي ظروف عدم التأكد، وذلك حتى لا تتفجر الأزمة في شكل صدام عسكري أو مواجهة، وحسب "اورانغ يونغ" فإنّ الأزمة هي عبارة عن "تداع سريع للأحداث يؤدي إلى تنشيط عناصر عدم الاستقرار في النظام الدولي على نحو غير مألوف يزيد من احتمالات اللجوء إلى العنف"، فالأزمة إذن هي مرحلة من مراحل تطور السلوك النزاعي وأبرز مثال على الأزمات أزمة خليج الخنازير في كوبا بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي سنة 1962. (الكيالي، 1981، صفحة 173)

- النزاع والصراع: يعتبر الصراع من أبرز المفاهيم المشابهة للنزاع حيث يبدو للوهلة الأولى إشكالية ترجمة مفهوم conflict, conflit من الفرنسية، والانجليزية إلى اللغة العربية، والتي تعني الصراع، والنزاع في نفس الوقت، ولقد قدم ابن منظور تمييزاً بين الصراع، والنزاع في معجمه لسان العرب؛ إذ يرى بأنّ التنازع هو التخاصم، ونزاع القوم هو خصامهم، أما الصراع والمصارعة فيدلان على المجاهدة الحادة حيث على كل واحد أن يصرع الآخر، والنزاع أقل حدة وشمولاً من الصراع حيث نجد أن النزاع هو الخلاف بين اتجاهات دولتين، أو أكثر حول مسائل، أو قضايا محددة، أما الصراع فهو تناقض الإيرادات الوطنية والقومية المتعلقة بالأهداف والقضايا الاستراتيجية الكبرى.

ويرى كمال حماد بان مفهوم النزاع عموماً يتناول خلافاً حاداً، وتاريخياً حول منافع محددة مثل حدود، مياه، أو ثروات طبيعية، أما مفهوم الصراع، فيتناول وجود الأخر سواء كان شعباً، أو دولة ويمكن أن يكون موضوع الصراع حدوداً، أو ثروة طبيعة ولكن يتخذ بعداً إيديولوجياً أو دينياً، (كمال، 1998، صفحة 11)، أما إسماعيل صبري مقلد فيرى بأنّ الصراع ينطوي على نظام مرتبط بالقيم، والأهداف غير المتوافقة، وبنظريات القوة وصنع القرار في المجتمع الدولي، ويقرر غالباً إلحاق الضرر المادي، أو المعنوي بالآخرين، في حين يشير النزاع إلى درجة أقل شمولاً من الاختلافات.

- النزاع والحرب: ارتبط مفهوم الحرب باستعمال العنف، ولهذا جاء أغلب التعاريف على أنها عنف منظم باستعمال القوات المسلحة، فقد عرّف "غاستون بوتون" الحرب على أنها: "صراع مسلح ودموي بين جماعات منظمة"، ويرى "ريمون أرون" بأنّ الحرب هي الأساليب العنيفة للتنافس بين الوحدات السياسية"، (جراد، 1992، صفحة 97) أما "كونسي رايت" فإنه يعرفها بأنها: "اتصال عنيف بين وحدات متميزة ولكن متشابهة"، (حتي، 1985، صفحة 294) ويختلف النزاع عن الحرب من حيث كون الحرب تتم بصورة واحدة وأسلوب واحد وهو الصدام المسلح بين الأطراف المتنازعة، في حين أن النزاع يمكن أن تتنوع مظاهره وأشكاله فقد يكون سياسياً، أو اقتصادياً أو غيرها. (مهني و معروف، 1993، صفحة 09)

المطلب الثاني: تعريف الاثنية وعلاقتها بالمفاهيم المشابهة لها

يعتبر مفهوم الاثنية من بين المفاهيم الأكثر تداولاً وإثارة للجدل بين المفكرين لاسيما مع تصاعد المد الاثني، والهوياتي بعد نهاية الحرب الباردة، وترتبط بهذا المفهوم مجموعة من المفاهيم المشابهة له والمتداخلة معه في اغلب الأحيان.

الفرع الأول: تعريف الاثنية:

إنّ لفظ اثنية ethnicity مشتق من الكلمة الإغريقية اثنوس ethnos والتي تعني حسب أرسطو أمة nation، أو الجماعة المؤسسة على علاقات عائلية، أو التي تنحدر من نفس الأصل، عكس المدينة التي تشير إلى مجتمع مؤسس على تنظيم سياسي، (colas, 1997, p 103)، وقد كان الأوروبيون يطلقون لفظة اثنية ethno على من ليسوا مسيحيين أو يهود في العصور الوسطى. (ابراهيم، 1992، صفحة 32)

أما من الناحية الاصطلاحية فإن لفظ الاثنية كحالة يعتبر من الألفاظ المستحدثة نسبياً، إذ لم يستخدم هذا المصطلح إلا بعد الخمسينيات من القرن الماضي وذلك على يد الانثروبولوجيين وعلماء الاجتماع، بحيث يتعلق هذا المفهوم بظواهر اجتماعية، وسياسية معاصرة، ودراسة المشاكل التي تعاني منها الدولة في ظل التعدد، والنزاع الاثنوهوياتي، وبعد ذلك فقد تخطى حدود الدولة ليصبح من المسائل التي يهتم بها المجتمع الدولي كالمشكلة الكردية، والأرمنية والكشميرية.

ويعرف will moore العرقية، أو الاثنية بأنها: "جماعة تمتاز بلغة، وتاريخ، ودين مشترك يميزها عن الآخرين، أو تتميز من خلالهم"، وهذا ما تبناه قاموس أكسفورد oxford الذي جعل العرقية تضم القبيلة tribu أو الأمة nation التي تملك ثقافة، أو تقاليد ثقافية تميزها، أما richmond Anthony بأن العرقية هي: "تجمع بشري يشترك أفرادها في بعض المقومات الفيزيولوجية كوحدة الأصل، والثقافية كالدين، واللغة والتاريخ وغيرها من المقومات غير المادية"، (وهبان، 1997، صفحة 38) ويشير جورج قرم في تعريفه للاثنية بقوله "إن الاثنية جماعة بشرية تؤكد على مستوى محدد، وأفرادها نوعية خاصة موقوفة عليها دون غيرها من الجماعات، وأهم نقطتين في النوعية الاثنية هما الدين واللغة، لأنهما تكفلان تواصلاً أمثل بين أعضاء الاثنية، وهذا بشرط أن يكون هذان العنصران نوعيين فعلاً، ولا تشاطرهما فيهما جماعات اجتماعية أخرى". (قرم، 1978، صفحة 11)

وقد حدّد بعض المفكرين أربع سمات أساسية للمجموعة الاثنية يمكن تلخيصها فيما يلي:

- الانتماء المشترك: والذي يشكل عاملاً هاماً في تكوين الجماعة الاثنية من خلال التاريخ الطويل المشترك بين أعضاء الجماعة، ويعتبر البعض بأن هذا الشعور هو أساس قيام المجموعة العرقية، وأن وحدة الدين واللغة والثقافة ليست سوى عوامل مساعدة. (مكاوي، 2006، صفحة 31)

- التفرد الثقافي: ولأن الأشياء تتمايز بأضدادها فإن احتكاك المجموعة الاثنية بغيرها من الجماعات يجعلها تتعرف على مواطن تفردها وتمايزها.

- العضوية الإجبارية: بمعنى أنه لا خيار للفرد في الانتماء إلى مجموعة اثنية معينة حسب رغبته، وإنما يحصل على عضويته في الجماعة العرقية بحكم المولد.

- الجهوية: فالمجموعة الاثنية تتركز عادة في إقليم بعينه داخل وحدة سياسية أكبر، (الباشا، 1998، صفحة 10) كالباسك في اسبانيا والكيبيك في كندا والفلامو في بلجيكا.

الفرع الثاني: علاقة الاثنية بالمفاهيم المشابهة لها

يرتبط مفهوم الاثنية بمجموعة من المفاهيم المشابه له والتي تظهر للوهلة أنها مطابقة له ومن بين تلك المفاهيم:

- الإثنية والقبيلة: يمكن تعريف القبيلة على أنها عبارة عن مجموعة من الأفراد الذين يقيمون في حيز جغرافي معين، ويتميزون بعدة خصائص معينة كالقراية، أو العصبية، أو الثقافة، والتضامن المشترك والتنظيم القبلي، ويذهب أغلب الدارسين إلى اعتبار أن الفرق الأساسي بين القبيلة، والاثنية يكمن في:

- من حيث المجال الاثنية أشمل من القبيلة فهي تضم مجموعة من القبائل.

- من حيث طبيعة المدلول فالقبيلة مصطلح له مدلول سياسي عكس الاثنية التي تحمل مدلولاً اجتماعياً وثقافياً.

- الإثنية والأقلية: غالباً ما تستعمل الأقلية كمرادف للإثنية، أو العرقية، إلا أن هناك فرقاً واضحاً بين المفهومين، فإذا كانت العرقية تعني جماعة متميزة عن المجتمع بغض النظر عن حجمها كالسود في جنوب إفريقيا واليهود في رومانيا، فإن الأقلية تطلق على جماعة عرقية أقل عدداً، وقد أخذ العديد من الباحثين، وفقهاء القانون الدولي بهذا المعيار في تعريفهم، حيث يرى البعض أن العرقية هي عبارة عن مجموعة من الأفراد داخل الدولة تختلف عن الأغلبية بسمة ثقافية، أو فيزيولوجية معينة. ويمكن أن نستنتج العلاقة بين الاثنية، والأقلية بالقول بأن كل أقلية هي بالضرورة عرقية، أو اثنية حيث تجمع أعضائها إما روابط فيزيولوجية أو ثقافية، وفي نفس السياق فإنه يمكننا القول بأنه ليست كل عرقية، أو اثنية أقلية، فليست كل اثنية هي بالضرورة أقل عدداً من المجتمع الذي تعيش فيه، فالسود في جنوب إفريقيا يمثلون أغلبية مستضعفة وكذلك الهوتو في البورندي.

- الإثنية والقومية: القومية لغة مشتقة من كلمة قوم، وهو الجماعة من الناس الذين تجمعهم جماعة يقومون عليها، وقوم الرجل أقاربه ومن يكونون بمنزلتهم، والقومية هي النهضة يقال قاموا قومة واحدة، والمتمعن في هذا المعنى اللغوي يستنتج أن هناك سِمَتَيْن تميزان هذا المعنى، السمة الأولى هي ارتباط القوم بمكان الإقامة والسمة الثانية هي ارتباط القومية بالقيام بالفعل والحركة من أجل تحقيق هدف معين، وهما السمتان اللتان تميزان هذا المفهوم عن المفاهيم المشابهة له. (عاشور، 2002، صفحة 41)

وينظر أغلب المفكرين إلى أن القومية هي حركة سياسية تهدف إلى قيام كيان سياسي يشمل أبناء الأمة التي تعبر عنها الحركة عبر بث الوعي لدى أبناء الأمة بعناصر وحدتها، وتميزهم وحقهم في كيان سياسي مستقل.

أما عن علاقة القومية بالاثنية فيجمع الباحثون على أن الاثنية تصبح حركة قومية، وذلك حين تسعى إلى بناء كيان سياسي مستقل، مثلما هو الحال بالنسبة إلى انقسام يوغوسلافيا في بداية

التسعينيات، ونشأة دول جديدة على أنقاضها في الساحة الدولية عن طريق سعي كل اثنية إلى تشكيل دولة خاصة بها.

الفرع الثالث: مفهوم النزاع الاثني

النزاع الاثني هو عبارة عن تصادم بين الجماعات الاثنية حول قضية أو مجموعة من القضايا والتي تسعى فيه كل مجموعة إلى تغيير الوضع القائم، فحسب "ميشال براون" فإنّ النزاعات الاثنية هي تناحر بين مجموعتين، أو أكثر حول القضايا المهمة المرتبطة بمشاكل اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو إقليمية، وببساطة فالنزاع الاثني يمكن أن يفهم على أنه طريقة، أو نمط لعنف منظم أين تقاس المجموعات والقيم بمنطق الإثنية (Geiser, p 05).

أما "ميشال هاوارد" فإنه يرى بأن النزاع الاثني هو مصطلح يستعمل للدلالة على نزاعات ما بين جماعات اثنية لم تحقق بعد دولتها، أو أن هذه النزاعات تظهر عندما تحاول مجموعات مقاومة إدماجها، أو أن تعلن استقلالها عن المجموعات الكبرى التي تراها كمهدد لثقافتها، وحسب "جيمس فيرون" و"دافيد لابتي" فإن النزاعات العرقية تظهر كشكل من أشكال الحرب الانفصالية، وذلك نتيجة لخوف الأقلية التي لا تثق في الدولة التي يحكمها نظام الأغلبية التي لا تمنح حقوق الأقليات. (Heinz-Jürgen & Schwarz, 2006, p 10)

ويرى "دافيد لاك" و"دونالد روتشيلد" بأنّ النزاعات العرقية هي حرب من نتاج الشعور بانعدام الأمن عندما تظهر مجموعة اثنية غير متأكدة من نوايا المجموعات الاثنية الأخرى التي تبادلها العداء، وحسب "جون انغسترون" فإن الرغبة في الاستقلال والانفصال تسمح لإيجاد الحد الفاصل بين نزاع بين الدول، ونزاع ما دون الدول، وكذلك القيام بالمقارنة ما بين النزاعات الاثنية والسياسية، والإيديولوجية، لكن ليس لكل الجماعات الاثنية هدف انفصالي. (Heinz-Jürgen & Schwarz, 2006, p13)

إنّ اهتمام الأكاديميين بدراسة قضايا الخلافات، والنزاعات الاثنية إنما ينبع من طبيعة تلك الخلافات المتسمة بالغموض، وذلك للبحث عما يميزها عن باقي الخلافات الأخرى، وقد توصلوا إلى مجموعة من الخصائص المميزة للنزاعات الاثنية، وهي:

- أن الخلافات الاثنية تقوم بها جماعات اثنية غير مسيطرة غالبا ما تكون أقلية، ويكون لها برنامج عمل ينطوي على ما تصبو إليه من أهداف، وما تتوسل به من وسائل بغية الوصول إلى هذه الأهداف. (حتي، 1985، ص 293)

- الخلافات الاثنية ترتبط من حيث وجودها بالدول المتعددة الاثنيات سواء كانت متقدمة، أو متخلفة.

- تستخدم في الخلافات الاثنية مختلف وسائل العنف كالحرب النظامية وحرب العصابات والتطهير العرقي وعمليات الاختطاف والاعتقال والمظاهرات.

- الخلافات الاثنية معقدة، وتدوم لفترة طويلة من الصعب التحكم فيها.

- تعتبر خاصية الانتشار من أبرز وأهم مميزات الخلافات الاثنية؛ إذ إن هناك خلافات تتخذ بعدا داخليا وطنيا، إلا أنها عبر مسار تطورها تأخذ بعدا إقليميا، ودوليا.

- إن هذه الخلافات من الصعب التعامل معها لأنها عادة ما تكون خلافات صفرية تدور وتعلق بإثبات أو نفي هوية أحد الأطراف.

المبحث الثاني:

المقاربات المفسرة لظاهرة النزاعات الإثنية

للتقرب أكثر ومعرفة وفهم ظاهرة النزاعات الإثنية وجب الاستعانة بمجموعة من المقاربات المفسرة لها والمتمثلة في:

المطلب الأول: المقاربة النشوية أو الأولية

ترتكز هذه المقاربة على فرضية أساسية مفادها أنه كلما كان هناك اختلاف هوياتي بين الجماعات كلما أدى ذلك إلى نزاع اثني، وفي الحقيقة أن محور هذه المقاربة يدور حول أهمية القرابة وتمائل الأسر وقوة الروابط بين أفراد الجماعة في تحديد هوية الجماعة الإثنية، هذه الروابط حسب دونالد هوروفيتز Donald Horowitz تسمح لهذه الجماعات بالتفكير في وجود الأخر المختلف وعليه يكمن سبب النزاع الإثني حسب هذه المقاربة في وجود الحدود الافتراضية بين الجماعات نتيجة عدم وجود قرابة وروابط بينها. (Horowitz, 1998, p 5)

حسب العديد من الباحثين أمثال "غريتش"، و"شيلز"، و"والكر"، و"كونور"، فإن أساس النزاع هو الاختلاف في الهوية الذي يتجلى في متلازمة نحن ضدهم، أي عدم تقبل الآخر مقابل الأنا، مما يؤدي إلى تعميق الإحساس بوجود حدود بين الجماعات ومنه يتطور إلى السلوك العدواني بينهم.

وفي نفس السياق فإن "صامويل هانتينغتون" Samuel Huntington من خلال كتابه صراع الحضارات يرى بأن أساس النزاعات هو العامل الثقافي الهوياتي نظرا لتصارع القيم بين المجتمعات، (هانتينغتون، 1994، صفحة 321)، كما أن صدام الحضارات جاء كمفهوم بديل حل محل التنافس الإيديولوجي بين الاشتراكية والرأسمالية، والخطوط الرئيسية الآن للنزاعات تسير في شكل متوازٍ مع خطوط الصدع الحضاري، أو التماس الحضاري.

وحسب البروفيسور تاتي فانهانن tatu vanhanen فإن المقاربة النشوية ليست فقط كذلك، بل هي مشروع بحثي ضخمة لاختبار أن مزيدا من السكان المقسمين اثنيا والذين يختلفون عن بعضهم البعض من حيث القيم والثقافة ترتفع عندهم احتمالات النزاع، وأن الدول المتجانسة هي أكثر استقرارا لأن المواطنين يشعرون بأنهم جزء من مجموعة الكل، (بلعيد، 2010، صفحة 27)، وقد تعرضت افتراضات المقاربة النشوية لعدة انتقادات أبرزها:

- إن الاختلاف الثقافي والاثني قد يؤدي إلى إثراء التعايش السلمي بين الجماعات الإثنية.
- سبب النزاعات الإثنية ليس الاختلاف بين الجماعات فقط، بل هناك أسباب أخرى مثل التسييس، والمثال على ذلك أن هناك مجموعة من الدول المتباينة الإثنيات والهويات لا تنتشر فيها النزاعات مثل سويسرا وأستراليا، بينما كان يكفي أن توجد جماعتان في قبرص لتدخل هذه الدولة في نزاع حاد.

المطلب الثاني: المقاربة الوسائلية

برزت المقاربة الوسائلية كرد فعل على المقاربة النشوئية التي رأت بأن النزاع الاثني ينشأ بسبب الاختلافات القائمة بين الاثنيات، وقد اعتبرت هذه المقاربة أنّ النزاع الاثني يرجع إلى أدوار الفواعل السياسية على المستويين الداخلي والخارجي، ويعتبر "باري بوزان" Barry Busan النزاع الاثني في هذا الشأن: "بأنه أسطورة أو خرافة يتمسك بها من يريد استخدامها"، ومن أبرز أنصار هذه المقاربة "دانيال بوسنير" daniel posner، وفاليري بيتشوف Valery betchov، و"ران لومارشو" rene lemarchand، ويعود النزاع الاثني حسب المقاربة الوسائلية إلى عدّة أسباب أهمها:

- مشكل التحريك بنوعيه الداخلي والخارجي، ففي التحريك الداخلي تعمل النخب السياسية والقادة والمقاولون الاثنيون على تسييس الظاهرة الاثنية، وتوظيف المجموعات الاثنية كمواقع للتعبئة الجماهيرية مثل استغلالها في حالة الانتخابات في سياق التنافس على السلطة، بالإضافة إلى امتلاك وسائل الضغط والتأثير كوسائل الإعلام والاتصال وذلك لتفعيل النزاعات، واختلاقتها من اجل تحقيق مصالحهم الخاصة، أما التحريك الخارجي فيقصد به دور الأطراف الإقليمية، والدولية في خلق وتفعيل النزاعات الاثنية لتحقيق مصالحها الإستراتيجية. (Geiser, p 36)

- ويعتبر الاستعمار كذلك من أهم الفواعل الخارجية، ويرى أنصار هذه المقاربة أنّ للاستعمار دورا كبيرا في اختلاق النزاعات الاثنية، وذلك عن طريق تشتيت القبيلة الواحدة على أكثر من دولة، مما يؤدي إلى تواجد قبائل ذات تاريخ من العداة في دولة، ومنطقة جغرافية واحدة، وكل هذا يؤثر على الأمن والاستقرار فيها، وعلى سبيل المثال نجد دور القوة الاستعمارية البلجيكية في ثلاثينيات القرن الماضي في تجسيد التمييز الحاصل بين الهوتو، والتوتسي في روندا على أساس ملكية الماشية، وقياسات مادية أخرى، وقد أصدرت بطاقات هوية على هذا الأساس والتي لعبت دورا مهما في عمليات الإبادة الجماعية لعام 1994.

وعلى الرغم من قرب المقاربة الوسائلية إلى الواقع العملي إلا أنها تعرضت إلى مجموعة من الانتقادات أهمها:

- ليست كل النزاعات الاثنية بالضرورة مدعمة من طرف قوى داخلية أو خارجية.
- استمرار الكثير من النزاعات الاثنية في العديد من الدول رغم تلاشي الاستعمار مثل السودان، رواندا، ومينامار.

- لا يمكن التركيز على عامل التسييس والتحريك الداخلي، والخارجي فقط كسبب للنزاع الاثني.

المطلب الثالث: المقاربة البنائية

حاولت المقاربة البنائية المزج بين المقاربتين النشوئية والوسائلية، وتكمن القوة الأساسية للمقاربة البنائية من حيث قدرتها على تزويدنا بفهم فترات التحول في العلاقات الدولية وذلك في مقابل الفهم الستاتيكي الذي يميز الواقعية، وذلك يعود إلى اقتراحات دراسة التأثير المتبادل بين البنية structure والعضو agent، (زقاع، 2022) فالتصور البنائي يقوم على تشریح علاقة التأثير بين طرفي الثنائية (بنية،

عضو)، بحيث يمكن إسقاط هذا التصور على الدولة كبنية والمجموعات الإثنيتية كأعضاء أو وحدات، ويرجع سبب النزاع الإثني حسب المقاربة البنائيتية إلى ما يلي:

- التأثير المتبادل بين البنية والعضو، فإذا كان التأثير سلبى بين الدولة (البنيتية) والجماعات الإثنيتية (أعضاء) فإن ذلك سوف يؤدي إلى النزاع الإثني والعكس صحيح.

- تأثر الإثنيتية بما هو داخلى (inside) وبما هو خارجى (outside) يؤدي إلى الاختلاف بين الإثنيتيات وحتى إلى النزاع داخل الإثنيتية الواحدة. (جندي، 2007، صفحة 327)

المطلب الرابع: المقاربة الإثنو-واقعية

جاءت المقاربة الإثنو-واقعية كامتداد للنظرية الواقعية المضسرة للعلاقات الدولية وخاصة بعد فشل هذه الأخيرة في التنبؤ بالأحداث التي أعقبت انهيار العديد من الدول في أعقاب نهاية الحرب الباردة، مما نتج عنه تفجر الكثير من الصراعات داخل الدول بين مختلف الإثنيتيات والقوميات، الأمر الذي أدى في نهاية المطاف إلى تجزئة العديد من الدول واستمرار الصراع في البعض الآخر.

كما أنّ الجديد الذي أتت به المقاربة الإثنو-واقعية هو أنّ الدولة التي هي الوحدة الأساسية للتحليل في النظرية الواقعية، لم تعد الفاعل الوحيد في العلاقات الدولية بعد نهاية الحرب الباردة، بل هناك بروز لافت للظاهرة الإثنيتية إلى جانب عدم إمكانية الفصل بين السياسة الداخلية والخارجية للدول وذلك نظراً للتدخل الخارجى في الشؤون الداخلية للدول بحجة حماية الأقليات المهدة بالإبادة، ولقد رأى مؤيدو المقاربة الإثنو-واقعية أنّ سبب النزاعات الإثنيتية يرجع إلى ظاهرتي الخوف واللاأمن، فحسب دافيد لاك David Lake فإنّ هناك نوعان من الخوف: (David & Donald, 1998, p 08)

أ- الخوف من التجانس: ويعني الخوف من التعرض للاستيعاب وهيمنة الآخر داخل المجتمع الواحد مثل خوف سكان الكيبك بكندا من الانجليزية، وكذلك الخوف من سيطرة ثقافة الأغلبية مما ينجر عنه تآكل ثقافة الجماعة الإثنيتية الأقل عدداً.

ب- الخوف على الحياة والبقاء: وينتج الخوف عن التمييز العرقى، أو الدينى، أو اللغوى، والتهميش وانتهاك حقوق الإنسان الذي يؤدي إلى الشعور بالخوف من القضاء على الحياة، والبقاء ككل، وهذا الخوف يبرز أكثر في حالة غياب الانسجام بين الجماعات الإثنيتية داخل الدولة الواحدة.

ويعرف باري بوزان Barry Buzan الأمن بقوله: "لا يمكن للأفراد، والمجموعات تحقيق الأمن المستقر إلا إذا امتنعوا عن حرمان الآخرين منه، ولا يتحقق ذلك إلا إذا نظر إلى الأمن على أنه عملية تحرر"، (بيليس وسميث، 2004، صفحة 414) ويؤكد كوفمان Kaufman بأنّ الخوف من الأخر يمكن أن يقود إلى العنف، وأنّ تفاقم الخوف بين الجماعات من شأنه أن يحثها على الهجوم بدل الدفاع لحماية أمنها، وقد تتضاعف مخاوف الجماعات عندما تقوم الدولة برد فعل قاس تجاه الاقليات التي تشاطرها الولاء مما يؤدي إلى تراجع فرص التعايش، و الاندماج وتفاقم المعضلة الأمنية. (Geiser, p 30)

وبذلك فإنّ المقاربة الإثنو-واقعية ترى بأنّ المعضلة الأمنية هي سبب اندلاع النزاعات وهي العقبة الرئيسية في إيجاد الحلول المناسبة لأنّ الولاء في النزاعات الإثنيتية يكون عميقاً، وليس عابراً، وهذا ما

يفاقم المعضلة الأمنية، ويصعب حلها، وعليه يكون الحل الوحيد حسب هذه المقاربة هو الفصل بين المجموعات لتقليص فرص الاحتكاك وتخفيف حدة المأزق الأمني.

المطلب الخامس: المقاربة الليبرالية

على خلاف المقاربة الإثنو-واقعية التي غلب عليها النزعة التشاؤمية برزت المقاربة الليبرالية بأكثر إيجابية، وتفاؤل والتي استوحت أفكارها من كانط Kant وروسو Rousseau، فالليبراليون لا يريدون فقط فهم العالم، ولكن محاولة تغييره إلى الأفضل، وهذا ما يتطلب حسم احترام حقوق الإنسان، وتدفع الرفاه الاقتصادي، وتعزيز العدالة الاجتماعية.

فالليبراليون الأوفياء لكانط Kant يعتقدون أن القيم مثل احترام حقوق الإنسان، والتمثيل الديمقراطي سوف تفسر التوجهات السلمية للدول الديمقراطية، وهكذا فإن الدول الديمقراطية هي دول أقل ميلا للنزاعات، وتنطلق الليبرالية من فرضية مفادها أن نشر الديمقراطية، والقيم مثل حقوق الإنسان هي ضرورة، وهي الطريقة المثلى لضمان الأمن، والسلم، وغياهما يؤدي حتما إلى زيادة الميل نحو النزاعات، وحدوث العنف، وحسب المقاربة الليبرالية فإن حدوث النزاعات الإثنية يعود إلى: (بلعيد، 2010)

- غياب منطوق حقوق الإنسان عن طريق إلغاء حق الأخر في الحياة، والأمن، والكرامة، ومحاصرة كل أنواع التنوع الإثني.
- غياب العملية الديمقراطية التي تمنع الجماهير من تجسيد مشاركتهم السياسية ومعرفة حقوقهم، وواجباتهم تجاه أوطانهم.
- عدم وجود تقسيم متكافئ للثروة (العائدات الوطنية) وانحصارها في يد قلة تتمثل في النخبة التي من شأنها أن تخلق طبقة كادحة ناقمة على الأوضاع تسعى إلى تغييرها حتى العنف.
- انغلاق الدول التي تشهد نزاعات على نفسها، وعدم السماح للمؤسسات الدولية بالمساعدة عن طريق مهمات حفظ، وتوطيد السلام، وهذا من شأنه تغذية النزاعات، وتأجيجها واستمراريتها.

المبحث الثالث:

أبعاد وانعكاسات النزاعات الإثنية على المجتمعات والدول

يمكن أن نشير في هذا السياق إلى ما كتبه "روبرت جاكسون" في الدورية الأمريكية المشهورة atlantic monthly حول حالة الفوضى التي تخلفها النزاعات الإثنية، وقد مثل بذلك حالة النزاعات الإثنية في إفريقيا ومنها دول غرب إفريقيا فإنه وصفها بأنها نموذج للفوضى العارمة، حيث أدت النزاعات الإثنية فيها إلى انهيار مؤسسات الدولة، وانتشار الأوبئة، كما تعاني من الجريمة، وانهيار حكم القانون، (عبد الرحمان، 2004، صفحة 01) وعادة ما تؤدي النزاعات الإثنية إلى عواقب وخيمة على المجتمعات و الدول على حد سواء، ولا تقف عند الدول، وإنما تمتد إلى المحيط الدولي، والدول المجاورة، كما تنعكس على كافة مظاهر الحياة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والإنسانية كالاتي:

المطلب الأول: الانعكاسات السياسية والأمنية

ينتج عن النزاعات الاثنية نزوح الآلاف من المدنيين العزل من أطفال، وشيوخ ونساء، كما تؤدي إلى موجات من اللجوء، وفرار الآلاف من البشر إلى المناطق، والدول المجاورة، وبذلك فإن النزاعات الاثنية تكسر دعائم الدولة الأساسية، وتدخلها في بوتقة الدول الفاشلة التي انهارت فيها كافة المؤسسات جراء الصراعات المميتة، ومع زيادة حدة التوترات يزداد عدم الاستقرار الأمني، وتعتبر النزاعات الاثنية كذلك من بين أسباب التوترات في العلاقات البينية بين الدول فأغلبية الدول الإفريقية مثلا تعيش توترات في علاقاتها البينية نتيجة النزاعات داخل الدول، وتأثيراتها الخارجية في المحيط الخارجي.

المطلب الثاني: الانعكاسات الاقتصادية

تؤثر النزاعات الاثنية سلبا على اقتصاديا الدول، وذلك من خلال استمرارها، ويمكن رصد ذلك من خلال عدة مؤشرات:

الفرع الأول: مؤشر المديونية

فالنزاعات الاثنية تؤدي إلى زيادة المديونية التي تأخذ نسبة كبيرة من الناتج الوطني، ففي إفريقيا مثلا يعود سبب ارتفاع المديونية إلى الحروب الأهلية، والنزاعات الداخلية التي تؤدي إلى الإنفاق العسكري على حساب التنمية، مما يدفع الدول إلى الاستدانة، فقد قدرت تكاليف الحرب الأهلية السوداني حتى 2004 بحوالي 46 مليار دولار.

الفرع الثاني: الفقر

حسب تعريف البنك العالمي للفقر فهو ظاهرة متعددة الأبعاد، ووصف يكون فيه الناس غير قادرين على الوفاء باحتياجاتهم الإنسانية الأساسية فضلا عن عدم السيطرة على الموارد، فالنزاعات الإثنية تؤدي إلى تفكير المجتمعات، والدول على حد سواء.

الفرع الثالث: التنمية والنمو

فالنزاعات الاثنية لها قوة تأثير سلبية على النمو، والتنمية، وذلك نتيجة الأعمال التخريبية واستغلال الأموال في الإنفاق العسكري والتسابق نحو التسليح واستهداف السكان، ففي تقرير بعنوان "النزاعات والتنمية: إعادة البناء وإقامة السلام بعد انتهاء النزاعات" والذي أعدته لجنة التنمية الدولية بعد زيارتها لثلاث دول افريقية عانت من الحروب الأهلية (سيراليون، أوغندا، جمهورية الكونغو الديمقراطية)، فإنّ كلفة النزاع الداخلي في دولة محدودة الدخل هو 54 مليار دولار، بينما تقدر إجمالي المساعدات المخصصة للتنمية خلال 2004 لدول العالم الثالث حوالي 78.6 مليار دولار. (بلعيد، 2010، صفحة 90)

المطلب الثالث: الانعكاسات الاجتماعية والإنسانية

لا تؤثر النزاعات الاثنية على بنية الدول فحسب بل تتسبب كذلك في انهيار الوضع الصحي وانخفاض مستويات التعليم نتيجة غلق المدارس، والاختلالات الديمغرافية ، وظاهرة اللجوء، فنجد مثلا النزاعات الاثنية في القارة الإفريقية أدت إلى موجات كبيرة من اللجوء ففي دولة بورندي نجد هروب من 60 إلى 80 ألف لاجي من الهوتو إلى كل من تنزانيا ورواندا نتيجة عمليات الإبادة الجماعية التي تعرضوا لها

من قبل التوتسي، وهذا نموذج من بين العديد من النماذج التي تبين لنا كيف أن النزاعات الإثنية تعتبر من أكبر العوائق، والعقبات في استقرار الدول، والمجتمعات. (عشري، 2016)

وتتمثل التدايعات الإنسانية للنزاعات الإثنية في وجود انتهاكات لحقوق الإنسان، وانتشار عمليات القتل، والإبادة وعمليات التطهير العرقي، فضلا عن التعذيب، وعمليات الاختفاء القصري للناشطين السياسيين والمعارضين في الدولة.

الخاتمة:

نستنتج مما سبق بأن النزاع هو مصطلح يعود في أصوله التاريخية إلى بداية التناقض في المصالح بين طرفين، أو أكثر، وهو يتشابه مع مجموعة من المفاهيم الأخرى مثل: التنافس، التوتر، التهديد، الأزمة، الصراع، والحرب، أما الإثنية فهو مصطلح يعبر عن جماعة تتميز عن باقي الجماعات الأخرى باللغة، أو الدين، أو العرق، وهو كذلك يتشابه مع مصطلحات أخرى مثل: القبيلة، الأقلية، والقومية.

وفيما يخص النزاع الإثني فهو تعبير عن الاختلافات بين الجماعات الإثنية حول القضايا المهمة المرتبطة بمشاكل اقتصادية، أو اجتماعية، أو سياسية، أو إقليمية، ولفهم طبيعة النزاعات الإثنية وتفسيرها يمكن الاستعانة بمجموعة من المقاربات منها: المقاربة النشوئية، المقاربة الواسطية، المقاربة البنائية، المقاربة الاثنو-واقعية، والمقاربة الليبرالية، كما أن للنزاعات الإثنية مجموعة من التدايعات والانعكاسات السلبية الخطيرة على المجتمعات، والدول على حدّ سواء، وفي الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية الأمنية والإنسانية.

الإحالات والمراجع:

1. إبراهيم، س. ا. (1992) تاملات في مسألة الاقليات. بيروت: دار سعاد الصباح.
2. الباشا، م. (1998). التنوع العرقي والسياسة الخارجية في السودان. الخرطوم: مركز الدراسات الاستراتيجية.
3. الرحمان، ح. ع. (2004). أكتوبر. (الصراعات العرقية، و السياسية في افريقيا : الأسباب، والأنماط وآفاق المستقبل. قراءات افريقية.
4. الكيالي، ع. ا. (1981). الموسوعة السياسية. لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
5. بالتسغراف، ج. د. (1985). النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية. الجزائر: المؤسسة الجامعية للنشر.
6. بالتسغراف، ج. د. & جيمس، د. ر. (1985). النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية. الجزائر: المؤسسة الجامعية للنشر.
7. بلعيد، س. (2010). أثر النزاعات الإثنية على الديمقراطية في القارة الافريقية. رسالة ماجستير. قسنطينة.
8. بيليس، ج. & سميث، س. (2004). عولة السياسة العالمية. الامارات: مركز الخليج للابحاث.
9. جراد، ع. ا. (1992). العلاقات الدولية. الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
10. جندي، ع. ا. (2007). التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية، والنظريات التكوينية. الجزائر: دار الخلدونية للنشر والتوزيع.

11. حتي بن ي. (1985). النظرية في العلاقات الدولية. لبنان: دار الكتاب العربي.
12. زقاع، ع. (s.d.). الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية و الاستراتيجية و الاستراتيجيات . Consulté le 14, 2022, sur <https://www.politics-dz.com>
13. عاشور، م. م. (2002). التعددية الاثنية: إدارة الصراع و استراتيجيات التسوية. الاردن: المركز العلمي للدراسات السياسية.
14. عشري، ر. ا. (2016). أوت. (14) الصراع في بورندي: الجذور و التداعيات. المعهد المصري للدراسات. القاهرة.
15. فهمي، ع. ا. (2006). مدخل الى الدراسات الاستراتيجية. مصر: دار مجدلاوي.
16. قرم، ج. (1978). إنتاج الأيديولوجيا، و صراعات الهوية في المجتمع اللبناني. دراسات عربي.
17. كمال، ح. (1998). النزاعات الدولية. لبنان: الدار الوطنية للدراسات و النشر و التوزيع.
18. مكاوي، ب. ا. (2006). تسوية النزاعات في السودان نيفاشا نموذجا. السودان مركز الراصد للدراسات.
19. مهي، م. ن. & معروف، خ. ن. (1993). تسوية النزاعات الدولية. مصر: مكتبة غريب للنشر.
20. هانتينغتون، ص. (1994). افريل. صدام الحضارات. السياسة الدولية.
21. وهبان، ا. (1997). الصراعات العرقية و استقرار العالم المعاصر. مصر: دار الطباعة للنشر.
22. colas, d. (1997). *dictionnaire de pensée politique. paris.*
23. David, L., & donald, r. (1998). *The International Spread of Ethnic Conflict Fear, Diffusion, and Escalation. Princeton : Princeton University Press.*
24. Geiser, C. (s.d.). *Approches théoriques sur les conflits ethniques et les refugies. Récupéré sur http://www.paixbalkans.org/contributions/geiser-parant_bosnie.pdf*
25. Heinz-Jürgen, a. M., & Schwarz, O. (2006). *Conflict - a literature review. Duisburg.*
26. Horowitz, D. L. (1998). *Structure and Strategy in Ethnic Conflict. Récupéré sur <http://web.ceu.hu/cps/bluebird/eve/statebuilding/horowitz.pdf>*